الغزو الفكري ووسائله

لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز
الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد

س ١ : ماهو تعريف الغزو الفكري في رأيكم ؟

جـ : الغزو الفكري هو مصطلح حديث يعنى مجموعة الجهود التى تقوم بها أمة من الأمم للاستيلاء على أمة أخري أو التأثير عليها حتى تتجه وجهة معينة . وهو اخطر من الغزو العسكري لأن الغزو الفكري ينحو إلى السرية وسلوك المسارب الخفية في باديء الأمر فلا تحس به الأمة المغزوه ولا تستعد لصده والوقوف في وجهه حتى تقع فريسة له وتكون نتيجته أن هذه الأمة تصبح مريضة الفكر والإحساس ، تحب مايريده لها عدوها أن تحبه وتكره ما يريد منه أن تكرهه .

وهو داء عضال يفتك بالأمم ويُذهب شخصيتها ويزيل معانى الأصالة والقوة فيها ، والأمة التى تبتلى به لا تحس بما أصابها ولا تدري عنه ولذلك يصبح علاجها أمراً صعباً وإفهامها سبيل الرشد شيئاً عسيراً .

س ٢ : هل يتعرض العرب عامة والمملكة خاصة لهذا النوع من الغزو . ؟

جـ : نعم يتعرض المسلمون عامة ومنهم العرب لغزو فكري عظيم تداعت به عليهم أمم الكفر من الشرق والغرب ومن أشد ذلك وأخطره :

- **الغزو النصرانى الصليبى .**
- **الغزو اليهودي .**
- **الغزو الشيوعى الإلحادي .**

أما الغزو النصرانى الصليبى فهو اليوم قائم على أشده ومنذ أن انتصر صلاح الدين الأيوبى على الصليبيين الغازين لبلاد المسلمين بالقوة والسلاح أدرك النصاري أن حربهم هذه وإن حققت انتصارات فهى وقتية لا تدوم ، ولذا فكروا في البديل الأفضل ، وتوصلوا بعد دراسات واجتماعات إلى ما هو أخطر من الحروب العسكرية وهو أن تقوم الأمم النصرانية فرادي وجماعات بالغزو الفكري لناشئة المسلمين لأن الاستيلاء على الفكر والقلب أمكن من الاستيلاء على الأرض فالمسلم الذي لم يلوث فكره لا يطيق أن يري الكافر له الأمر والنهى

في بلده ، ولهذا يعمل بكل قوته على إخراجه وإبعاده ولو دفع في سبيل ذلك حياته وأغلى ثمن لديه · وهذا ماحصل بعد الانتصارات الكبيرة للجيوش الصليبية الغازية · أما المسلم الذي تعرض لذلك الغزو الخبيث فصار مريض الفكر عديم الإحساس فإنه لا يري خطرا في وجود النصاري أو غيرهم في أرضه ، بل قد يري أن ذلك من علامات الخير ومما يعين على الرقى والحضارة · وقد استغنى النصاري بالغزو الفكري عن الغزو المادي لأنه أقوي وأثبت من أي حاجة لهم في بعث الجيوش وإنفاق الأموال مع وجود من يقوم بما يريدون من أبناء الإسلام عن قصد أو عن غير قصد ، وبثمن أو بلا ثمن ، ولذلك لا يلجأون إلى محاربة المسلمين علانية بالسلاح والقوة إلا في الحالات النادرة الضرورية التى تستدعى العجل كما حصل في غزو أوغندا والباكستان ، أو عندما تدعو الحاجة إليها لتثبيت المنطلقات وإقامة الركائز وإيجاد المؤسسات التى تقوم بالحرب الفكرية الضروس كما حصل في مصر وسوريا والعراق وغيرها قبل الجلاء ·

أما الغزو اليهودي فهو كذلك لأن اليهود لا يألون جهداً في إفساد المسلمين في أخلاقهم وعقائدهم · ولليهود مطامع في بلاد المسلمين وغيرها ولهم مخططات أدركوا بعضها ولا زالوا يعملون جاهدين لتحقيق ما تبقى · وهم وإن حاربوا المسلمين بالقوة والسلاح واستولوا على بعض أرضهم ، فإنهم كذلك يحاربونهم في أفكارهم ومعتقداتهم · ولذلك ينشرون فيهم مباديء ومذاهب ونحلاً باطلة كالماسونية والقاديانية والبهائية والتيجانية وغيرها ويستعينون بالنصاري وغيرهم في تحقيق مآربهم وأغراضهم ·

أما الغزو الشيوعى الإلحادي فهو اليوم يسري في بلاد الإسلام سريان النار في الهشيم نتيجة للفراغ وضعف الإيمان في الأكثرية ، وغلبة الجهل وقلة التربية الصحيحة السليمة فقد استطاعت الأحزاب الشيوعية في روسيا والصين وغيرها أن تتلقف كل حاقد وموتور من ضعفاء الإيمان وتجعلهم ركائز في بلادهم ينشرون الإلحاد والفكر الشيوعى الخبيث وتعدهم وتمنيهم بأعلى المناصب والمراتب ، فإذا ما وقعوا تحت سيطرتها أحكمت أمرها فيهم وأدبت بعضهم ببعض وسفكت دماء من عارض أو توقف حتى أوجدت قطعاناً من بنى الإنسان حرباً على أممهم وأهليهم وعذاباً على إخوانهم وبنى قومهم فمزقوا بهم أمة الإسلام وجعلوهم جنوداً للشيطان يعاونهم في ذلك النصاري واليهود بالتهيئة والتوطئة أحياناً ، وبالمدد والعون أحياناً أخري ، ذلك أنهم وإن اختلفوا فيما بينهم فإنهم جميعا يد واحدة على المسلمين يرون أن الإسلام هو عدوهم اللدود · ولذا نراهم متعاونين متكاتفين بعضهم أولياء بعض ضد المسلمين فالله سبحانه المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل ·

س ٣ : ماهي الوسائل التى يستخدمها الغرب لترويج أفكاره ٠ ؟

جـ : الوسائل التى يستخدمها الغرب لترويج أفكاره كثيرة منها : ـ

١ ـ محاولة الاستيلاء على عقول أبناء المسلمين وترسيخ المفاهيم الغربية فيها لتعتقد أن الطريقة الفضلى هى طريقة الغرب في كل شىء سواء فيما يعتقده من الأديان والنحل أو ما يتكلم به من اللغات أو ما يتحلى به من الأخلاق أو ماهو عليه من عادات وطرائق ٠

٢ ـ رعايته لطائفة كبيرة من أبناء المسلمين في كل بلد وعنايته بهم وتربيتهم حتى إذا ما تشربوا الأفكار الغربية وعادوا إلى بلادهم أحاطهم بهالة عظيمة من المدح والثناء حتى يتسلموا المناصب والقيادات في بلدانهم ، وبذلك يروجون الأفكار الغربية وينشئون المؤسسات التعليمية المسايرة للمنهج الغربى أو الخاضعة له ٠

٣ ـ تنشيطه لتعليم اللغات الغربية في البلدان الإسلامية وجعلها تزاحم لغة المسلمين وخاصة اللغة العربية لغة القرآن الكريم التى أنزل الله بها كتابه والتى يتعبد بها المسلمون ربهم في الصلاة والحج و الأذكار وغيرها ٠ ومن ذلك تشجيع الدعوات الهدامة التى تحارب اللغة العربية وتحاول إضعاف التمسك بها في ديار الإسلام في الدعوة إلى العامية وقيام الدراسات الكثيرة التى يراد بها تطوير النحو وإفساده وتمجيد ما يسمونه بالأدب الشعبى والتراث القومى ٠

٤ ـ إنشاء الجامعات الغربية والمدارس التبشيرية في بلاد المسلمين ودور الحضانة ورياض الأطفال والمستشفيات والمستوصفات وجعلها أوكاراً لأغراضه السيئة وتشويق الدراسة فيها عند الطبقة العالية من أبناء المجتمع ومساعدتهم بعد ذلك على تسلم المراكز القيادية والوظائف الكبيرة حتى يكونوا عونا لأساتذتهم في تحقيق مآربهم في بلاد المسلمين ٠

٥ ـ محاولة السيطرة على مناهج التعليم في بلاد المسلمين ورسم سياستها إما بطريق مباشر كما حصل في بلاد الإسلام حينما تولى (دنلوب) القسيس تلك المهمة فيها أو بطريق غير مباشر عندما يؤدي المهمة نفسها تلاميذ ناجحون درسوا في مدارس (دنلوب) وتخرجوا فيها فأصبح معظمهم معول هدم في بلاده وسلاحاً فتاكاً من أسلحة العدو يعمل جاهداً على توجيه التعليم توجيهاً علمانياً لا يرتكز على الإيمان بالله والتصديق برسوله وإنما يسير نحو الإلحاد ويدعو إلى الفســاد ٠

٦ ـ قيام طوائف كبيرة من النصارى واليهود بدراسة الإسلام واللغة العربية وتأليف الكتب وتولى كراسى التدريس في الجامعات حتى أحدث هؤلاء فتنة فكرية كبيرة بين المثقفين من أبناء الإسلام بالشبه التى يلقنونها لطلبتهم أو التى تمتلىء بها كتبهم وتروج في بلاد المسلمين حتى أصبح بعض تلك الكتب مراجع يرجع إليها بعض الكاتبين والباحثين في الأمور الفكرية أو التاريخية ولقد تخرج على يد هؤلاء المستشرقين من أبناء المسلمين رجال

قاموا بنصيب كبير من إحداث الفتنة الكبري ، وساعدهم على ذلك ما يحاطون به من الثناء والإعجاب وما يولونه من مناصب هامة في التعليم والتوجيه والقيادة فأكملوا ما بدأه أساتذتهم وحققوا ما عجزوا عنه لكونهم من أبناء المسلمين ومن جلدتهم ينتسبون إليهم ويتكلمون بلسانهم فالله المســـــتعان ...

٧ ـ انطلاق الجيوش الجرارة من المبشرين الداعين إلى النصرانية بين المسلمين وقيامهم بعملهم ذلك على أسس مدروسة وبوسائل كبيرة عظيمة يجند لها مئات الالآف من الرجال ولقد تعد لها أضخم الميزانيات وتسهل لها السبل وتذلل لها العقبات (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمم نوره ولو كره الكافرون) « الصف : ٨ » وإذا كان هذا الجهد منصباً على الطبقة العامية غالباً فإن جهد الاستشراق موجه إلى المثقفين كما ذكرت آنفاً وإنهم يتحملون مشاقاً جساماً في ذلك العمل في بلاد أفريقيا وفي القري النائية من أطراف البلدان الإسلامية في شرق آسيا ثم هم بعد كل حين يجتمعون في مؤتمر يراجعون حسابهم وينظرون في خططهم فيصححون ويعدلون ويبتكرون . فلقد اجتمعوا في القاهرة سنة ١٩٠٦ ، وفي ادنمبرج سنة ١٩١٠ ، وفي لكنوا سنة ١٩١١ ، وفي القدس ١٩٣٥ م ، وفي القدس كذلك في عام ١٩٣٥ م . ولا زالوا يوالون الاجتماعات والمؤتمرات فسبحان من بيده ملكوت كل شيء وإليه يرجع الأمر كله .

٨ ـ الدعوة إلى افساد المجتمع المسلم وتزهيد المرأة في وظيفتها في الحياة وجعلها تتجاوز الحدود التى حد الله لها وجعل سعادتها في الوقوف عندها وذلك حينما يلقون بين المسلمين الدعوات بأساليب شتى وطرق متعددة إلى أن تختلط النساء بالرجال وإلى أن تشتغل النساء بأعمال الرجال يقصدون من ذلك إفساد المجتمع المسلم والقضاء على الطهر والعفاف الذي يوجد فيه وإقامة قضايا وهمية ودعاوي باطلة في أن المرأة في المجتمع المسلم قد ظلمت وأن لها الحق في كذا وكذا يريدون إخراجها من بيتها وإيصالها إلى حيث يريدون في حين أن حدود الله واضحة وأوامره صريحة وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم جلية بينة يقول الله سبحانه وتعالى : **(يأيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيماً)** « الاحزاب : ٥٩ » ويقول سبحانه **(وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو أباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن)** الآية : « النور : ٣١ » ويقول : **(وإذا سالتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن)** ويقول : **(وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى)** « الأحزاب : ٣٣ » ويقول صلى الله عليه وسلم : (إياكم والدخول على

النساء قال رجل من الأنصار يارسول الله أفرأيت الحمو قال الحمو الموت) وقال : (لا يخلون رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما) ٠

٩ ـ إنشاء الكنائس والمعابد وتكثيرها في بلاد المسلمين وصرف الأموال الكثيرة عليها وتزيينها وجعلها بارزة واضحة في أحسن الأماكن وفي أكبر الميادين ٠

١٠ ـ تخصيص إذاعات موجهة تدعو إلى النصرانية وتشيد بأهدافها وتضلل بأفكارها أبناء المسلمين السذج الذين لم يفهموا الإسلام ولم تكن لهم تربية كافية عليه وخاصة في إفريقيا يصاحب هذا الإكثار من طبع الأناجيل وتوزيعها في الفنادق وغيرها وإرسال النشرات التبشيرية والدعوات الباطلة إلى الكثير من أبناء المسلمين ٠

هذه بعض الوسائل التى يسلكها أعداء الإسلام اليوم في سبيل غزو أفكار المسلمين وتنحية الأفكار السليمة الصالحة لتحل محلها أفكار أخرى غربية شرقية أو غربية وهى كما نرى جهوداً جبارة وأموالاً طائلة وجنوداً كثيرين كل ذلك لإخراج المسلمين من الإسلام وإن لم يدخلوا في النصرانية أو اليهودية أو الماركسية إذ يعتقد القوم أن المشكلة الرئيسية في ذلك هى إخراجهم من الإسلام وإذا تم التوصل إلى هذه المرحلة فما بعدها أسهل وميسور ٠ ولكننا مع هذا نقول إن الله سيخيب آمالهم ويبطل مكرهم ويضعف كيدهم لأنهم مفسدون وهو سبحانه لا يصلح عمل المفسدين ٠ قال الله تعالى : **(ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)** « الانفال : ٣٠ » وقال سبحانه : **(إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً فمهل الكافرين أمهلهم رويدا)** « الطارق : ١٥ ـ ١٧ » وإن الأمر يحتاج من المسلمين وقفة عقل وتأمل ونظر في الطريق التى يجب أن يسلكوها والموقف المناسب الذي يجب أن يقفوه وأن يكون من الوعى والإدراك ما يجعلهم قادرين على فهم مخططات أعدائهم وعاملين على إحباطها وإبطالها ولن يتم ذلك إلا بالاستعصام بالله والاستمساك بهديه والرجوع إليه والإنابة له والاستعانة به وتذكر هديه في كل شىء وخاصة في علاقة المؤمنين بالكافرين وتفهم معنى سورة الكافرون وما ذكره سبحانه في قوله : **(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)** « البقرة : ١٢٠ » وقوله : **(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا)** « البقرة : ٢١٧ »

أسال الله سبحانه أن يهيىء لهذه الأمة من أمرها رشداً ، وأن يعيذها من مكائد أعدائها ، ويرزقها الاستقامة في القول والعمل حتى تكون كما أراد الله لها من العزة والقول والكرامة ٠ إنه خير مسئول وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ٠

حديث عن الدورة

وأثرها على المجتمع الذي أقيمت فيه

محاضرة ألقيت بقاعة المحاضرات الكبرى بالجامعة الإسلامية

مساء الأربعاء ١٤٠٣/١/٣

للدكتور علي بن محمد ناصر فقيهي

عميد شؤون المكتبات بالجامعة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

وبعد : فإن الجامعة الإسلامية التى هيأ الله الأسباب لانشائها فى المدينة النبوية التى قال رسول الله ﷺ فيها : « إن الإيْمانَ ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها . . » وقد أسست لهدف نبيل وغاية محمودة ، وهو العودة بالمسلمين جميعاً الى العقيدة الإسلامية الصحيحة الصافية النقية المأخوذة من الكتاب والسنة ، واتباع منهج سلف الأمة فى ذلك ، وذلك لمعرفة المؤسسين لها والراسمين لسياستها وأهدافها ، أنه بصلاح القلوب وتنقِيتها من جميع شوائب الشرك والبدع والخرافات تصلح المجتمعات وتصح مسيرتها ، لأن فى القلب مضغة إذا صَلَحَت صَلَحَ الجسدُ كله وإذا فسدت فسدَ الجسدُ كله ألا وهى القلب ، فالقلب ملك الأعضاء وقائدها .

وهذا هو منهج المصطفى ﷺ فى دعوته ، فقد مكث فى مكة ثلاثة عشر عاماً يدعو الناس لتحقيق هذه الغاية ، وهى توحيدُ الله وتركُ كل ما يدعى من دونه ، ولو علم ﷺ أن هناك منهجاً آخر يمكن به صلاح البشرية لتبعه ، فقد عرض عليه رؤساء قريش لصرفه عن منهجه فى دعوته أموراً منها : أنه إذا أراد بدعوته الملك فهم على أتم استعداد أن يتوجوه ملكاً عليهم ، ولكنه يعلم أن الملك لا يصلح قلوب الناس ولا ينقذ البشرية مما وصلت اليه من تدهور فى العقيدة والسلوك والأخلاق ، وإنما الملك ثمرة من ثمار الإيمان والأعمال الصالحة كما قال تعالى : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لَيَسْتَخْلِفَنَّهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وَلَيُمَكنَنَّ لهم دينهم الذى ارتضى لهم وَلَيُبدلنهم من بعد خوف أمناً يعبدونني لا يشركون بى شيئاً ﴾ [النور / ٥٥] .

ولذلك بقى فى دعوته سائراً على منهجه غير مبال بمعاداة ومخالفة الناس جميعاً له فيما يدعوهم إليه ـ إلا الذين آمنوا بدعوته وهم قلة .

والفئة القليلة المؤمنة ، تغلب الفئة الكثيرة الضالة باذن الله .

فهو ﷺ يعلم أنه لو صار ملكاً عليهم ، وهم لا يؤمنون بمبادئه ، وشريعته التى يريد تطبيقها وتنفيذها عليهم يعلم يقيناً أَنْ ليس فى استطاعته ولا فى مقدوره تَنْفيذَ هذا المنهج فيهم .

ولكن حينما صلحت تلك القلوب فآمنت بالله ثم بكل ما جاء عنه فى كتابه وفى سنة رسوله ﷺ ، قامت الدولة فى المجتمع المدني الذى نزل فيه قوله تعالى : ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قَضَى الله ورسُولُه أمراً أن يكونَ لهم الخِيَرَةُ من أمرهم ومن يَعْص الله ورسوله فقد ضلَّ ضَلَالاً مُّبيناً** [الأحزاب / ٣٦] .

فكما نعلم جميعاً ، أن عقوبة الزاني المحصن الرجم بالحجارة حتى الموت ، فما الذى دعى المرأة الغامدية أن تقدم نفسها لإقامة تلك العقوبة عليها ، وما الذى دفع ماعزاً أن يقدم نفسه لتلك العقوبة أيضاً .

والجواب ـ أنه صلاح القلوب التى أصبحت فارغة من كل شىء إلا الإيمان بالله وبما جاء فى كتابه وعلى لسان رسوله ، الإيمان الجازم باليوم الآخر وما يجرى فيه ، وأنَّ منْ لم يعاقب على جريمته فى الدنيا ، فلن ينجو من ذلك يوم القيامة ، يوم الاجزاء على الأعمال إن لم يعفو الله عنه ، وبذلك الإيمان الصادق والعمل الصالح تحققت الخلافة فى الأرض التى هى ثمرة من ثماره ، وذلك **ليُعبَدَ الله وحدهُ ولا يشرك به شيئاً** ﴿ **يَعْبُدُونني لا يشركون بى شيئاً** ﴾ وبقيام تلك الخلافة تحافظ الدولة على حماية هذا المبدأ العظيم الذى خلق الله الجن والإنس من أجله ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ [الذاريات : ٥٦] . ولا تتحقق تلك المحافظة إلا بالقيام بكل ما من شأنه عز الإسلام وأهله وهو ما نصت عليه الشريعة الإسلامية وحث عليه دستورها القرآن الكريم ، الذى لم يفرط فى الله فيه من شىء ، وهو القائل : ﴿ **وأَعِدُوا لهم ما استطعتم من قوة** ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

وقد قامت الدولة الإسلامية من عهدها الأول بذلك ، ومكن الله لها فى الأرض ، وبحفظها لدين الله واقامة شريعته فى الأرض بقيت لها العزة والكرامة .

وحين ابتعد الناس عن هذا المنهج الذى رسمه لهم رسول الهدى ﷺ ، وابتعد الناس عن دينهم فتركوا كتاب ربهم وسنة نبيهم بعوامل كثيرة ، نشأ عنها تفرق الأمة فى عقائدها وسلوكها ومناهج حياتها بما يزينه لها أعداؤها ، فتشتت المسلمون وتفرقت كلمتهم ، وذلك بسبب تركهم لوصية رسول الله ﷺ وهى قوله : (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتى) .

ومعناه أن من ترك التمسك بهما فسيضل ، وهذا هو الواقع المشاهد . ومعلوم أن التمسك بهما هو العمل بما جاء فيهما أمراً ونهياً فى جميع مجالات الحياة ، بدأ بالعقيدة واخلاص العبادة لله وحده ، وانتهاء بعمل ما يمكّن المسلمين من أداء هذه العبادة لله ، وأن تكون كلمة الله هى العليا ، وقد قال الإمام مالك رحمه الله : (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها) .

والمهتمون بأحوال المسلمين والذين يسعون لاصلاح المجتمعات ليستعيد الإسلام مجده ، وتستعيد الأمة الإسلامية كرامتها وقوتها وسيرتها الأولى ، هؤلاء يسلكون لتحقيق هذه الغاية مناهج مختلفة .

والناظر فى دعوات زعماء الاصلاح الذين سبقونا وهم كثيرون ، أقول إن المتتبع لدعوات أولئك لا يجد دعوة نجحت وحققت ثمارها المرجوة منها إلا الدعوة التى سلكت وترسمت المنهج الذى سلكه رسول الله ﷺ ، وهو البدء باصلاح القلوب أولاً .

وأعنى بالمنهج الذى نجح فى ذلك هو منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذى لازال المجتمع الإسلامى يجنى من ثمار دعوته المباركة ، رغم ما كثفه أعداء الدعوة هذه ضدها من دعايات باطلة ، سواء على المستوى السياسى الذى يتذرع به أصحابه لصد العامة عن سماع هذه الدعوة . أوعلى يد رؤساء الطرق الصوفية الضالة المضلة ، وذلك بما يبثونه فى أتباعهم من أن أتباع هذه الدعوة ودعاتها يكرهون رسول الله ﷺ ، والأولياء وينكرون كراماتهم ، وذلك ليحافظ هؤلاء على خدمة العامة وخُضُوعهم لهم لأخذ ما يحتاجونه من أموالهم بالدجل والشعوذة .

وسوف أذكر أمثلة من كتبهم حينما أذكر لكم ثانى رجلين من رجال الدعوة السلفية تعرف عليهما أعضاء الدورة ، وقد كان كل واحد منهما صاحب طريقة .

وقد قرأ الاخوة ما كتبه أحدهما عن مخازى طريقته التى أنقذه الله منها ، تلك الطريقة التى بلغ فيها الكاتب أعلى رتبة ، وهى رتبة الخليفة الذى له الاذن المطلق من أحمد التيجانى فى اعطاء الطريقة والتنصيب والاذن لمن يراه أهلاً لذلك ـ وان شئت فقل : فى اضلال الناس عن الصراط السوى وادخالهم فى مذهب الحلول والاتحاد المعبر عنه عندهم بالفناء أحياناً ـ كما ذكر هو ذلك فى أحد كتبه فى الرد على الطريقة التيجانية .

أعود فأقول : إن الجامعة الإسلامية أسست فى مدينة رسول الله ﷺ ، للعودة بالناس الى هذا المنهج الصحيح ، وقد جاء فى أهدافها ايصالُ هذا الخير إلى العالم الإسلامى بالوسائل التى تحقق هذا الهدف ، وأولها التعليم ، فهى تقدم :

١ ـ منحاً دراسية لأبناء العالم الإسلامى حسب حاجات تلك البلاد وعدد سكانها .
٢ ـ ترسل بعثات للوعظ والإرشاد .
٣ ـ تبعث الكتب الدينية النافعة للمؤسسات والمدارس والأفراد .

أما المنح الدراسية : فقد لَبَّى أبناء العالم الإسلامى قوله تعالى : ﴿ **وما كان المؤمنون لِينفروا كافةً فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا إليهم لعلهم يَحْذَرُون** ﴾ [التوبة : ١٢٢] ، ودليل ذلك وجود أكثر من مائة جنسية من أبناء العالم الإسلامى فى مختلف مراحل التعليم فى الجامعة .

وبوصول هؤلاء الطلاب الجامعة الإسلامية يصبحون أمانة فى عنق المسئولين فيها فعليهم أن يرعوا هؤلاء الطلاب وأن يعلموهم ما ينفعهُم فى دينهم ودنياهم ، على الأسس التى رسمتها الجامعة فى سياستها وأهدافها . وهى الرجوع بالأمة إلى الكتاب والسنة .

وقد آتت الجامعة ثمارها فى هذا الحقل فخرّجَتْ عدداً كبيراً من أبناء العالم الإسلامى ، وعادوا الى بلادهم رُسُلَ خير يبلغون قومهم هذا الخير الذى حصلوا عليه فى جميع أنحاء العالم ، وقد شَهِدَ لهم بذلك الذين زاروا تلك البلاد ورأوا أعمالهم وما يقومون به من توجيه وارشاد ، ولا عبرة بالشاذ منهم عن هذا المنهج فتلك سنة الله فى خلقه .

وقد قال لى رئيس جماعة عباد الرحمن ـ فى كانو ـ سليمان بللو ـ مقارنا بين الطلاب الذين يرجعون إليهم من البلاد العربية بعد إكمال دراستهم ، وبين الطلاب الذين يعودون من الجامعة الإسلامية .

قال : إن الطالب الذى يعود من الجامعة الإسلامية يمكث سنوات وأنت تشم فيه رائحة المدينة . فقلت له : ما معنى هذا الكلام . فقال : إن سلوكه وأخلاقه ودعوته تختلف كثيراً عن الذين عادوا إلينا من البلاد العربية الأخرى .

أقول هذا لأن هدف الجامعة الإسلامية الأول فى نشر الدعوة هو التعليم وقد نجحت فى هذا نجاحاً ملموساً على يد خريجيها حتى الذين كانوا فى أيام دراستهم لا يلقى لهم بال ولا يعرف عنهم نشاط ، فقد حدث عندهم ردُّ فعل لما يشاهدونه من انحراف عن المنهج السوى .

ـ كما أن الجامعة حققت نجاحاً بالوسائل الأخرى التى أشرت اليها ، وهى إرسال الوفود للوعظ والإرشاد ، وبعثُ الكتب للمؤسسات والمدارس والأفراد .

ـ ولكن فى نظري ويشاركنى فى هذا **كل** الذين اشتركوا معي فى الدورة.

إن من أنجح الوسائل لهدف الجامعة بعد تعليم الطلاب فى داخلها ، هو المشاركة فى إقامة هذه الدورات التعليمية ، وذلك لما يأتى :

١ ـ **الدورات** التى شاركت فيها أنا وزملائى والذين سوف أذكر أسماءهم هى **دورات تعليمية** تقوم بتنفيذ منهج فى مواد معينة لها مذكرات بأيد الطلاب ، ويوضع جَدْوَلُ حصصٍ لكل مدرس ليقوم بتدريس مادته كما لو كان فى المعهد .

٢ ـ **المتدربون** ـ هم معلمون فى مراحل التعليم المختلفة ـ الثانوى ، والاعدادى ، والابتدائى ، فهم ينقلون ما تعلموه إلى طلابهم فى مدارسهم ، والذين ينقلون مايسمعون من أساتذتهم إلى أهخليهم وذويهم .

٣ ـ **المنهج المقرر** يشمل مادة **العقيدة** ، وهذا هدف الجامعة الأول .

والعقيدة الصحيحة المأخوذة من الكتاب والسنة هى أساس كل انطلاق .

ثم مادة التفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والنصوص ، والتربية ، وطرق تدريس المواد الدينية ، وطرق تدريس اللغة العربية ، ومواد أخرى مساعدة .

ـ وكما تعلمون جميعاً أن المواد المقررة لاتكفى فى حد ذاتها . وإنما الأمر يرجع إلى مدرس المادة وعقيدته ومنهجه وما يريد أن يبلغه إلى الآخرين .

وزملائى فى هذه الدورات التى اشتركت فيها لاأعتقد أن منهجهم يختلف عن هذا المنهج لأنه المنهج الحق الذى يؤمنون به ويدينون الله به قبل كل شىء وهومنهج الجامعة الذي رسمته فى أهدافها ونظامها الأساسى ، وهونشر العقيدة السليمة الصحيحة المأخوذة من الكتاب والسنة ، والتى سبقنا إلى تطبيقها سلف الأمة .

وقد كان جميع أعضاء الدورة من المدرسين السعوديين إلا فى المواد التى لاتخصص لهم فيها ، فقد أخذنا من هيئة التدريس بالجامعة .

ومن هؤلاء المشتركين فى الدورات جميعاً :

عميد شئون الطلاب الشيخ عوض أحمد سلطان ، والدكتور ذيب القحطانى ، والشيخ عبد العزيز الصاعدى ، والشيخ صالح السحيمى ، والشيخ محمد زربان الغامدى ، والشيخ سليم الأحمدى ، والشيخ راشد الرحيلى والشيخ جبران والشيخ ابراهيم عمير .

وأعتقد أن هؤلاء جميعاً يؤمنون بأن منهج الجامعة الإسلامية فى إبلاغ دعوتها فى داخل الجامعة وخارجها هو المنهج الصحيح ، وهودعوة الناس جميعاً إلى الكتاب والسنة ، والبدأ أولاً وقبل كل شىء بالعقيدة الصحيحة ، وأنهم جميعاً يرفضون ما يسمى بمنهج التجميع ، يرفضونه بأسلوبهم فى دعوتهم ، ولا يلتفتون الى أى أسلوب آخر يفرض عليهم ، يقومون بذلك دون ضجيج أو شعارات ترفع ، لأن الغرض هو إبلاغ الحق الذى يؤمنون به إلى الآخرين الذين هم فى حاجة اليه ، دون نصب رايات لا يعمل أصحابُها غير رَفعها .

أما عمل هؤلاء داخل الجامعة فيتمثل فى القيام بالتدريس وتوجيه الطلاب الى المنهج الصحيح فى العقيدة والسلوك ، يوجد أثر ذلك عند طلابهم الذين تلقوا التدريس على أيديهم فى مختلف مراحل التعليم فى الجامعة ، ثم فى كتابة من له مشاركة فى الكتابة . وأما عملهم لتحقيق هدف الجامعة خارجها فإنى مضطر هنا إلى ذكر أمثلة لما حققته هذه الدورات على أيد هؤلاء الإخوة وزملائهم الذين لم يرفعوا لائحات بأعمالهم أمام الآخرين ، ولم يتحدثوا بما قدموا إلا لمن سألهم عما وجدوا ، وماذا عملوا ، وهم لايحبون ذلك لأنهم لايريدون من أحد من الناس جزاء ولا شكوراً .

ولكنى أستميحهم عذراً فى ذكر ذلك إجابة على أسئلة تكررت كثيراً وذلك لبيان الحقيقة للذين لا يعلمون . (ولذا فإن العنوان الكامل لهذا الحديث هو : « **حديث عن**

الدورات التدريبية وأثرها على المجتمع الذى أقيمت فيه وتحقيقها لأهداف الجامعة الإسلامية لو كانوا يعلمون » .

فأقول : إن الدورة الأولى عام ١٤٠٠ هـ وأعنى بها دورة نيجيريا ـ التى اشتركت فيها ـ لا الدورات فى بنجلادش وباكستان التى شارك فيها زميلى فى الدراسة من المرحلة الإعدادية الى أخذ شهادة الدكتوراه الشيخ ربيع بن هادى المدخلى .

أقول : فقد كان من المشاركين معى فى هذه الدورة كما أشرت سابقاً عميد شئون الطلاب الشيخ عوض أحمد سلطان ، والدكتور ذيب القحطانى وغيرهما ، وقد التحق بهذه الدورة ثلاثمائة معلم ، والذين دخلوا الامتحان ومنحوا شهادة الدورة أكثر من مائتين وثلاثين معلماً .

أما الأعمال التى قام بها الأساتذة فى تلك السنة إضافة إلى التدريس فما يأتى :

١ ـ **القيام بخطبة الجمعة** فى الجامع الذى يحضر للصلاة فيه أكثر من أربعة آلاف ، إذ يصلون خارج المسجد تحت الأشجار وفى الشمس ، حرصاً منهم على سماع الداعية المعروف عندهم أمين الدين أبوبكر ، إمَّا لِسَمَاع خطبه أولترجمته للخطب التى تلقى يوم الجمعة والأخوة هناك ومنهم القاضي نائبي والى يلقبونه بالمترجم المشهور .

وهو رئيس جماعة الدعوة والذى عرف العقيدة السلفية . وقرأ كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وترجم مسائل الجاهلية على أشرطة (باللغة الهوسا) يتداولها الشباب وتباع فى السوق ، كما قرأ ما وجده من كتب شيخ الإسلام ابن تيميه ، أما شيخه فى الحديث كما قال ـ فناصر الدين الألباني ولم يره ـ ، ثم نبذه للطرق الصوفية بواسطة الشيخ أبى بكر قومي عضو المجلس الأعلى للجامعة وعضو رابطة العالم الإسلامى ، وهو الرجل المعروف بمحاربة أصحاب الطرق والخرافات ولازال فى محاربتهم إلى الآن .

٢ ـ **المشاركة فى المحاضرات والندوات** التى تقيمها المؤسسة الإسلامية فى قاعة مدرسة العلوم العربية طوال شهر رمضان ، وتنقل فى الإذاعة يومياً .

٣ ـ **اقامة ندوات ومسابقات للطلاب** اشترك فيها الدكتور عبد العزيز فاخر ، والشيخ عوض أحمد سلطان الشهرى ، وغيرهما من الأساتذة .

ومما حدث فى هذه الدورة أن طالباً صاحب طريقة أرسل للاشتراك فى الدورة من أجل إثارة الأسئلة لينقل ما يقال الى شيخه ، وقد جرى النقاش فى الفصل حول التوسل فذكر المدرس التوسل المشروع ـ واستشهد بقول عمر بن الخطاب للعباس فى صلاة الاستغاثة ـ قم ياعباس فادعوا الله لنا . . . الخ . فقال الطالب : يقول رسول الله ﷺ : (توسلوا بجاهى فإن جاهى عند الله عظيم) فقال له المدرس : لو رجعت لهذا الحديث لوجدته موضوعاً . فقال : هذه طريقتكم ، الحديث الذى يصلح لكم تستشهدون به ، والذى يصلح تقولون عنه موضوع .

ثم ذهب الى شيخه وقال له ما يشاء ـ فأرسل الشيخ سكرتيره للاذاعة وسمحوا له فألقى حديثاً قال فيه : أن جماعة من الوهابيين جاءوا لتفريق كلمة المسلمين ولكن بحمد الله فقد كان هذا الحديث منه سبباً من أسباب نجاح الدورة وظهورها ، وبيان الحق الذى جاء به المشتركون فيها .

كما تعرف الأخوة فى هذه الدورة على الداعية المشار اليه أمين الدين أبوبكر وجرت معه مناقشات حول أسلوب الدعوة ، وما الطريق الصحيح الذى ينبغى أن يسلكه الداعية .

وقد وجدنا عنده أكواماً من الكتب تتحدث عن الإسلام عموماً وتدعوا لنصرته ، وهى تهتم بما يسمى بالتنظيم والتخطيط والتنفيذ ، حتى صار هذا الأسلوب يجرى على ألسنة بعض الشباب وهو لا يدرى ماذا ينفذ . وكل هذه الكتب تدعو الى تجميع الناس لا فرق فى الدعوة فيها بين من يهتم بالأساس وهو العقيدة الصحيحة وغيره ، فكل صاحب طريقة أو تربية والتربية ألطف فى التسمية سواء كان قادرياً أو تيجانياً يمكنهم الدخول فى هذه الدعوة إذا تحقق شرط واحد وهو الولاء العام لها .

ومن المصادفة أن الشيخ أمين الدين كان قادرياً ، أى يتبع الطريقة المنسوبة لعبد القادر الجيلانى ، فهو يعرف أسرارها وما تهدف اليه فى دعوتها ولها صولة وجولة وأتباع كثيرون .

وقد حارب هذه الطريقة التى يعرف ضلالها وفسادها ومخالفتها للشريعة الإسلامية .

فلما كثرت عنده هذه الكتب التى تدعوا للتجميع ، وقد دعم ما تدعوا اليه هذه الكتب ، الشخص الذى يحملها اليه ، ويحمل كل جديد منها باستمرار ، ولا يتأخر عن

نيجيريا فهو دائم الأسفار إليها ففى كل ثلاثة أشهر تقريباً يزورها ـ وقد سألته عن مهمته ـ فقال : إنه يريد تأسيس مطبعة ودار للنشر ـ ولكن مضى ثلاث سنوات ولم يوجد أثر لذلك .

وقد حاول هذا الرجل اقناع أمين الدين بمهادنة أصحاب الطرق بحجة الحكمة فى الدعوة وجمع كلمة المسلمين ، ولكن أمين الدين بحمد الله قد أقنعه الأخوة بالدعوة الصحيحة ، وهى تُؤدَّى بالحكمة والموعظة الحسنة ، لأن بيان الحق لابد منه ، **والا فما معنى الدعوة اذا لم يبيّن الحقُّ من الباطل** .

وفى الدورة الثانية وبعد زيارته لنا أعنى أمين الدين ، ذهبت لزيارته فى مسجده فوجدت عنده كتاباً جديداً بكمية لابأس بها ، ولكنه لم يعرف ما فيه إذ لم يقرأه ، والكتاب اسمه « تربيتنا الروحية » وقد ذكرت ما فيه من خرافات فى مقدمة تحقيقي لكتاب « **الرد على الجهمية لابن مندة** » وهو مطبوع الطبعة الثانية .

ولقد حملت منه نسخاً هدية له ولطلابه ولبعض الأساتذة الذين تعرفت عليهم .

فتناولت كتاب التربية ، وفتحت على ص ٢١٦ ، ٢١٧ لأنظر هل تنطبق على الطبعة التى نقلت منها قول المؤلف : إن الكرامة تحدث للمنتسب للطريقة الرفاعية وإن كان فاسقاً . . . الخ . فوجدتها كذلك لأنها مصورة .

فأعطيتها لأمين الدين فلما قرأها . وضع يده على رأسه وقال : أنا أعْرفُ بِكِذِب الصوفية وخرافاتهم ودجلهم وقد وصلت فى الطريقة القادرية إلى رتبة ممتازة عندهم ، وقد أنقذنى الله منها وقد كنت أضرب الطبل فى المسجد للذكر ـ وهذا من طقوسهم ـ قال : فأنا إذاً أعود لها مرة أخرى .

وقد كانت مناقشة الإخوان له فى منهج الدعوة الصحيحة نبراساً له اهتدى به الى منهج السلف فى دعوته ، والمذكور داعية له تأثيره فى المجتمع يشغل جميع أوقاته فى التعليم والدعوة ، وعنده بعض الطلبة يعولهم لفقرهم ، وبعضهم من الوثنيين أسلم على يديه فقلاه أهله ، وليس عنده من الدخل إلا راتبه وهو يعمل مدرساً وله أسرة .

ومما يجدر ذكره أن الرجل الذى كان يدعو أمين الدين إلى مهادنة أصحاب الطرق اتصل بجماعة الشيخ أبى بكر قومى ، وهم جماعة نصر الإسلام ، فدعاهم الى مهادنة الطرق الصوفية ، وقال ان كتاب الشيخ عبد الرحمن الافريقى فى الصوفية لا يصلح توزيعه

لأنـه يفـرق كلمة المسلمين ، فاصطدم بهم وأخذه البوليس الى السجن وبقى فيه حتى جاء رئيس المؤسسة الإسلامية من (كانو) إلى (كادونا) فأخرجه بكفالته .

أمـا فى هذه السنـة فقـد كان أعضـاء الـدورة مع الطلبة المشتركين فى الدورة وغيرهم يجرون منـاقشـات حول الطـرق وهى مناقشة علمية سلكناها من أول يوم فيطالبونهم بالأدلة من الكتاب والسنة على ما يقولون ويدّعون فهي الحكمُ فيما اختلف فيه .

وقـد أرسـل مشـائـخ الطـرق طلاباً من أتباعهم للاشتراك فى الدورة ، لإثارة الأسئلة ونقل ما يجرى فى الدورة .

ولكن باستعمال الاخوة الحكمة فى الدعوة ظهر الحق واندحر الباطل .

ومن أمثلة ذلك :

إن طالبـاً قادريـاً فى المستوى الجامعى قال في الفصل بعد مناقشات حول الطرق ـ إن الأئمة الأربعة أجمعوا على تكفير ابن تيمية .

فقـال له المـدرس : هل وجـدت هذا فى كتاب ؟ قال : نعم . قال من كتب الأئمة الأربعة فيظهر أنه تملص من الاجابة .

فقـال المـدرس للطلبـة وهم فى المستوى الجامعى هل تعرفون متى وجد الأئمة الأربعة وهم يعـرفـون ذلـك ، ثم بين لهم أنهم وجدوا فى القرن الثانى والثالث ، وابن تيمية وجد فى القرن السابع فكيف حكموا بكفره قبل أن يولد ، وبذلك أصبح الطلبة يخاصمون الطالب ويسكتونه إذا سأل ، كما حدثت له مناقشة مع الشيخ صالح السحيمى فى شرح البيت :

يا أكـــرم الخلق مالى من ألوذ به . . الخ .

وفى هذه الـدورة **كان للأسـاتـذة دور مع أتباع الخمينى** ، ذلك أن الشعب النيجيرى شعب مسلم يحب الإسـلام ، ولكن الـذى ينقص الشبـاب هناك هو العلم بحقيقة الإسلام ، وما تنطوى عليه دعوات الفرق المنتسبة للإسلام .

فحين سمعوا ما يسمى بالثورة الإسلامية ، وقد كثف أصحاب هذه الدعوة دعايتهم فى نيجيريا بارسال الوفود والنشرات باللغة الانجليزية والعربية انخدع هؤلاء الشباب بهذه الدعوة .

وقد اشترك بعض هؤلاء الطلاب الذين تركوا مدارسهم فى الدورة فى العام الماضى وجرت معهم مناقشات طويلة . وفى آخر شهر رمضان تركوا الدراسة واعتكفوا فى المسجد فقلنا لهم إن الاعتكافَ سنة وطلبَ العلم فريضة فلم يقبلوا .

فطلبنا من الشيخ محمد زربان وهو الرجل المعروف بأسلوبه فى الدعوة أن يذهب ليلقى دروساً فى المسجد ، وكان هدفنا هو ملاحقة هؤلاء الشباب المغرر بهم عسى الله أن يهديهم ، وقد استمر معهم يناقشهم ويجيب على شبههم ويوجههم ولكنه فى آخر الأمر قال : إنني أصب فى قربة مخروقة أملأها فى الليل فتصبح فارغة .

وذلك أنه بعد مناقشتهم واقناعهم فى المساء مثلاً يصبحون يعيدون المسألة بعينها .

ورغم ما ظهر على بعضهم من تأثر عند سفرنا فقد مكث أحدهم أورئيسم عند الشيخ محمد زربان ليلة سفرنا إلى وقت متأخر من الليل ثم بكى متأثراً بما يسمع ومع هذا كله لما عدنا هذا العام وجدنا شوكتهم قويت وشعارات الشيعة ظاهرة عليهم كلبس العمائم بل قال لى الشيخ أمين الدين إنهم فى داخل البلد وفى الذهاب للمسجد يلبسون العمائم السود ، ثم لهم مكتبة باسم مكتبة الأمة تأتيها الصحف والمجلات والنشرات من إيران يوزعونها مجانا ومعها صور الخمينى وهى معلقة على باب المكتبة .

وفى أول خطبة جمعة خطبها الشيخ محمد زربان فى الجامع ، وترجمها الشيخ أمين الدين أبوبكر - وقد تعرض المترجم لدعوة الخمينى وبين للناس أنها ضلال مبين إذ أن عقائدهم تقوم على تكفير الصحابة وعلى رأسهم أبى بكر وعمر ، وهو الرجل الوحيد فيما أعلم يبين للناس عَلَناً أن ثورة الخمينى ليست إسلامية ، ولا تمت إلى الإسلام بصلة وإنما هى دعوة باطنية .

وبعد صلاة الجمعة وحين خرجنا من المسجد تقدم طالب من طلاب الشيخ محمد زربان من الذين كان يناقشهم العام الماضى بمجلة حرس الثورة يوزعها علينا ، ثم اتبعوها بنشرات أخرى مطبوعة باللغة العربية والانجليزية فيها أقوال الخمينى .

وبعد أن عرفوا أننا قرأناها طلبوا منا موعداً فلبينا طلبهم فحضروا بعد صلاة العشاء فى السكن فاجتمعنا فى المكان المعد للصلاة ، وجرت المناقشة مع رئيسهم وهو آيتهم واسمه بشير - الذى لم يجاوز عمره العشرين سنة وهو طالب ذكى أضله أولئك الدعاة .

فقد دعاه الخميني بواسطة عملائه إلى زيارة إيران فزاره هو وبعض زملائه وقابلوا الخميني ورجع معمدا لانقاذ المستضعفين .

وقد جرت المناقشة معه لعقيدة الرافضة ودعوتهم ، وما الإسلام الذى يدعون اليه ، وهم يعتقدون كفر الصحابة الذين نقلوا لنا القرآن والسنة . . . الخ .

فكان الرجل أعمى لا علم عنده ، وقد قطع هؤلاء الصلة بينهم وبين علمائهم فحين قلنا لهم العام الماضى ما دمتم تركتم دراساتكم فى الجامعة ، فاتصلوا بالشيخ أبى بكر قومي ، والدكتور حسن غاورزوا ، رئيس القضاة ، وأمين الدين أبو بكر لتتفقهوا فى الدين على أيديهم قالوا : إن هؤلاء موظفون مع الحكومة فلا يوثق بعلمهم . لذلك تمكنت الدعاية المكثفة مع وجود العاطفة الإسلامية عندهم من اضلالهم ، فمثلاً يقولون رداً على تكفيرهم للصحابة ومنهم أبو بكر وعمر ، إن هذا القول تركه المتأخرون وإنما هى عقائد قديمة .

فقيل لهم : إن هذا القول موجود فى كتاب الخميني ـ الحكومة الإسلامية ـ فقال بشير : هذا الكتاب طبعته رابطة العالم الإسلامى ضد الخميني ، فقلنا له : أنت زرت ايران ولاشك أنك أخذت من الخميني الذى قابلته النسخة الأصلية فاطلعنا عليها فرفض .

فقال له الشيخ صالح السحيمى : ما رأيك لو قلت : إن لأئمتنا درجة لا يبلغها ملك مقرب ولا نبي مرسل ، فقال : أنت كافر .

فقال له : ولو قال هذا القول الخميني مارأيك فيه ، فقال : أمره الى الله . فقلنا له اتق الله ما الفرق بين الاثنين .

فقال بحماس : أنا لا أكفر الخميني لأنه يجاهد فى سبيل الله .

والله يقول : والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا . فهو سيهتدى . هكذا بلغ حال هؤلاء ، وليست هناك مقاومة لهذا الضلال تذكر ما عدا ما يقوم به الشيخ أمين الدين أبو بكر ، حتى الكتب الصغيرة مثل الخطوط العريضة وكتب إحسان إلهي ظهير لاتوجد فى هذه البلاد .

أما الطلبة الذين اشتركوا فى الدورة فقد كان بعضهم متأثراً بدعوة الخميني ـ أو بفتنته ـ لأنها تلمس عواطفهم ومشاعرهم الدينية بألفاظها ولا يعرفون حقيقتها .

وقـد ركـز الإخوة جميعاً على إزالة هذه الشبه من أذهانهم ، باستثارة عواطفهم الدينية أيضـاً ، وهـو طلب الحكم منهم على من يكفـر الصحابة ومن يقول أن أبا بكر وعمر صنمى قريش ، فيصـدر الحكم منهم على قائـل ذلـك . فيبـين لهم أن هذه عقيدة الشيعة الرافضة الإمامية فى القديم ، وهى الموجودة الآن فى كتبهم التى تنشر وتوزع .

وقد فضح الله باطل الشيعة وإن كانوا يستعملون التقية ديناً وهى النفاق بعينه ـ وذلك بما قامـوا به من نشْـرٍ لِكتـاب الكـافى فى أجزاء صغيرة مبسطة للقراءة ـ أعلى الصفحة باللغة العـربيـة وفى أسفلهـا الـترجمـة باللغة الانجليزية ، وفيه الطعن على أبى بكر وعمر ومعاوية وغيرهم من الصحابة .

وقـد ركـز فى الكلمة التى ألقيت فى حفل اختتام الدورة والتى حضرها وزير الاسكان ورئيس القضاة على حثهم على الإهتمام بالشباب المسلم والعناية بالعقيدة الصحيحة التى أخبر الرسول بأن الأمة ستفترق الى ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة . ولمـا سئل عنهـا قال : هى من كان مثـل ما أنـا عليه وأصحابى . فالذى يكفر الصحابة ويقول فى أبى بكر وعمر أنهما صنمى قريش كيف يكون داعية للإسلام .

فوعد رئيس القضاة بأنهم سيعملون بهذه النصيحة .

أما الآن فإلى الحديث عن ثانى رجلين من رجال الدعوة الى العقيدة الصافية .

الـذى تعـرف عليه أعضاء الدورة وتناقشوا معه وقرأوا كتبه واعجبوا بعمله وبأفكاره . ذلك الرجل هو **الشيخ محمد طاهر ميغرى البرناوى** المحاضر فى جامعة بايرو ـ فى كانو ـ وألدّ أعداء الطريقة التيجانية التى بلغ فيها درجة يتمناها كل تيجانى كما قال ذلك فى مقدمة كتابه « **الطريقة التيجانية دين جديد هدام لعقيدة الإسلام وشريعته** » .

أريـد أن أقـول قبـل أن أذكر شيئاً عن كتبه : إن أعضاء الدورة وأعنى بهم السعوديين خاصـة ـ بقـدر ما قدمـوا لطـلابهم فى بيان العقيدة الصحيحة فقد أخذوا معلومات جيدة فى معـرفـة أسـرار الطـرق الصـوفية الخبيثة التى أضلت شباب العالم الإسلامى فى كل مكان ، وذلك بما قرأوه فى كتب الشيخ محمد طاهر ميغرى ، وبما سمعوه من تحليل لأقوال ابن عربى وابن الفارض وغيرهما .

وقـد كان البعض منـا يظن أن الطـرق الصوفية عبارة عن أوراد يعملون فيها خلافاً لما عمله السلف الصالح فى الذكر بما يحدثونه من حلقات وذكر جماعي . . الخ .

ولكن تبين لنا بعد قراءة تلك الكتب أنها أى الطرق الصوفية كفر وإلحاد وزندقة ، بيّن ذلك وأرجعه إلى مصادره وأصوله القديمة قبل الإسلام ، كما بين الغاية من أن الدعوة إليها ، هى محاربة لكتاب الله وسنة رسوله بصرف الناس عن القرآن بالأوراد ، وصلاة الفاتح التى ادعى التيجانى أن الملك نَزَلَ بها على البكري مكتوبة فى صحيفة من نور وأنها تعدل القرآن ستة آلاف مرة بل أضعاف ذلك . لأنهم يقولون لأتباعهم : إن القرآن ثقيل - كما قال تعالى : انا سنلقى عليك قولا ثقيلا » فهو لثقله يخرب الديار ويزلزل البيوت - فيكتفى بالأوراد التى أجْرُهَا أضعاف أجر القرآن ستة آلاف مرة أو أكثر وهى سليمة العواقب .

أما كتبه التى ألفها ولا تزال مخطوطة فهى :

الأول : الطريقة التيجانية دين جديد هدام لعقيدة الإسلام وشريعته .
الثانى : ابطال ادعاء رؤية النبى ﷺ يقظة .
الثالث : التيجانية آخر مظهر للباطنية القرمطية الإسماعيلية .
الرابع : كتاب فى المهدى .

والكتب الثلاثة الأولى هي فى الأصل كتاب واحد بعنوان « **التعليمات المفيدة** » وسبب تأليفه أنه ألقى محاضرة فى جامعة بايرو بعنوان التربية عند الشيخ ابراهيم انياس السنغالى . تعرض فيها لبيان ضلاله والحاده ، وقد أخذ رسالته الماجستير بعنوان « **إبراهيم ايناس آراؤه وأصول أفكاره مع تحقيق كتابه السر الأكبر** » وكلاهما مطبوع فى مجلد واحد .

فكتب أحد أتباع الطريقة التيجانية وهو موريتانى ، رسالة فى الرد عليه بعنوان (إنذار وإفادة لمن باع دينه بشهادة) أي بشهادة الماجستير فكتب محمد طاهر ميغرى هذه الكتب الثلاثة
أما الكتاب الأول - وهو الطريقة التيجانية دين جديد .
والثانى - وهو ابطال ادعاء رؤية النبى ﷺ يقظة .

فقد قرأها الأساتذة من أولها الى آخرها قراءة متأنية مع المناقشة الحادة بعض الأحيان ، لأن المؤلفَ شديدُ اللهجة فى الرد على المخالف وقد يستنبط بعض الأحيان من أقوالهم ما يراه بعضنا الزام لهم بما لم يحمله قولهم - وهو مشترك معنا فى التدريس فى الدورة فيحضر عندنا فى السكن فتجرى معه مناقشة ممتعة ومفيدة . وقد دلت على علم الرجل وفهمه ، واعتداده بما يقتنع به . كما أن من مميزاته قبول الحق اذا تبين له . وعدم العناد فيه .

وهو لايقبل المجاملة والاحتمالات التى يُفَسّرُ بها بعض أخطاء العلماء فى العقيدة .

ولـه منهـج خاص فى ذلـك ، وهـو تتبـع العـالم فى مسار فكره فى كتبه فإن كان يسير فى أغلب كتبـه إلى تأييـد هذه الفكـرة بشتى الـوسـائل والاحتمالات والتفسيرات ، ثم لا ينقل أقوال المخالفين له كاملة ، وانما يقتصر على ما يحتاجه منها ، ثم يروى أحاديث موضوعة وهو يعلم ذلك ولا يبين أنها موضوعة . . وهكذا ، فمثل هذا لايقبل الاعتذار عنه لأن تلك عقيدته .

وان أخطأ مرة أو مرتين فهذا كغيره من العلماء يخطئون ويصيبون . وليسوا بمعصومين .

وأهم ما يمتـاز به المـذكـور فى دراستـه وبحوثه إستيعابه لأقوال الخصم وأدلته وحرصُه الشديد على النقل للأمور المنسوبة لذلك الشخص بأمانة لا زيادة ولا نقصانا .

ثم سرد للتسلسل التأريخى لبدء الفكرة ، وتطورِها فى جميع مراحلها ، وبعد ذلك يبدأ فى المناقشة ، فيبطل ما قاله أولئك بعد مناقشة أدلتهم مناقشة علمية وابطالها بالعقل والنقل ، ثم يورد أدلتـه على ما يريـد اثبـاتـه من الكتـاب والسنـة ، وأقـوال الأئمة ، المعتبرةُ أقوالُهم كالأئمة الأربعة وابن تيمية وابن القيم ، وابن العربي وابن حجر وغيرهم .

ولا يورد أحكامه على الآخرين جزافاً ، وهو بعيد كل البعد عن الحكم بالعواطف .

هذا بالنسبـة لكتبـه المخطـوطة ، والتى أحضرنا بعضها لأنه يرغب نشرها فى المجتمع النيجيري الذى أفسده أصحاب الطرق المضلة ، وهو فقير لايستطيع طبعها .

وهي كتب تخدم الدعوة ، فهو جدير بأن يشد من أزره ويشجع وينشر الصالح من كتبه .

أما كتبه المطبوعة فمنها كتابه « إبراهيم انياس السنغالى آراؤه وأفكاره مع تحقيق كتابه السر الأكبر » . وهو رسالة ماجستير تَقَدّمَ بها فى جامعة بايرو ـ بكانو ـ .

والـرسـالـة كما هو واضـح من عنوانها « دراسة لشخصية إبراهيم ايناس وتحقيق لكتابه السر الأكبر » وكلاهما مطبوع فى مجلد واحد يشمل ٥٢٠ صفحة .

وطبيعة البحث العلمى ـ لاسيما دراسة الشخصيات والمعاصرة منها على الخصوص ، والمفتون بها مئات الآلاف بل الملايين من الناس ـ سواء قدَمَهُ صاحبُه رسالة فى جامعة فهو يعلم أنه سوف يعرض نفسه للمناقشة فى جميع أقواله . أو يقدمه للقراء فكذلك سيكون مستهدفاً للنقاد ، فهو يحتاط قدر استطاعته ، ولابد أن يبقى عنده نقص لكونه بشراً .

وقد ذكرت أن ما يميز بحوث الشيخ محمد طاهر ميغرى هو الاستقصاء وايراده لكل ما يستطيع أن يتوصل اليه من أقوال قيلت فى المسألة .

وقد ناقشه أساتذة الدورة فى هذا الاستطراد ، وأقنعنا بضرورة ذلك فى بعض المواطن .

فكذلك كان بحثه فى دراسته لشخصية إبراهيم انياس السنغالى .

فقد قام بدراسة ميدانية ، فسافر إلى كولخ موطن أسرة إبراهيم انياس وإلى موريتانيا حيث يوجد أتباع طريقته ، ثم اتصل بكل من له به صلة حتى جمع عنه جميع المعلومات التى استطاع أن يجمعها عن حياته وسجل ذلك كما أخذه بأمانة الناقل .

ثم درس الطريقة التيجانية التى ينتسب اليها إبراهيم انياس ويدعو لها وينشرها فى نيجيريا بلد غير بلده .

فذكر تأريخ أحمد التيجانى ، وبين سيرته السيئة ، وما جرى له من الحاكم التركى الذى سجنه لأنه ثبت عليه تزييفه للنقود ، ثم ضربه له وأخيراً تسفيره .

ثم ذكر حقد الشيخ التيجانى على الحاكم التركى المسلم وعلى الإسلام والمسلمين جميعاً ، ودعوته على بلاد المسلمين بأن يستولى عليها الاستعمار .

ولما قيل له فى ذلك قال : إن الله أوحى إليه بأنه ساخط على المسلمين وأنه لايقبل دعاء أحد فيهم .

وقد ناقشه محمد طاهر ميغرى فى هذه الأقوال الزائفة وأثبت كذبَه فيها ثم نقل اجماع المسلمين على تكفير من ادعى نزول الوحى بعد النبى ﷺ على أحد من خلقه مستدلاً بأدلة ختم النبوة ـ وبحديث الصحيحين ـ بأنه سيكون بعد الرسول دجالون كذابون قرابة ثلاثين كلهم يزعم أنه نبى .

ثم أثبت بعد ذلك تعاون التيجانى وجميع أصحاب الطرق مع المستعمرين ، ووصيتهم لأتباعهم بالسمع والطاعة للمستعمرين .

وبعد ذلك انتقل إلى تبشير التيجانى بأنه ستكون فيضة فى آخر الزمان على يد أحد أتباعه ، يدخل الناس فى الطريقة التيجانية أفواجاً ، وأن من دخل فيها فهو من أهل الجنة سواء عَبَد الله أو لم يعبده ، وسواء ارتكابه المعاصى والذنوب من زنى وسرقة وغيرها ، فان الله قد تكفل له بأن يقضى عن أتباعه من خزائن جوده وكرمه . وأن يدخلهم الجنة بغير حساب ولا عذاب .

هذا نموذج مما ذكره عن التيجانى وقد حكم بكفره لادعائه الوحى . ولادعائه دخول أتباعه الجنة بغير حساب وأن الله تكفل له بذلك .

وبعد ذلك انتقل إلى إبراهيم انياس السنغالى فاستقصى سيرته من حين ولادته ، ذاكراً الخرافات التى قرنت بولادته ، ثم تتبع سيرته إلى أن أصبح صاحب طريقة ، وأنه لما كان فى السنغال أصحاب طرق ينافسونه ، وهم أقوى منه ، كان أكثر أتباعه فى الدول المجاورة مثل موريتانيا وغيرها .

ثم بين اتصاله بنيجيريا لنشر طريقته فيها ، وأنها كانت بسبب معرفة بينه وبين أمير (كانو) وقعت فى الحج ، ثم قدم إلى (كانوا) بعد ذلك لنشر طريقته . ثم إدعى بعد أن قَبِلَ الناسُ منه طريقته ، أنه هو صاحب الفيضة التى بشر بها أحمد التيجانى ، والتى قال عنها أنها ستكون فى آخر الزمان على يد أحد اتباعه ، فقرر لهم أنه صاحبها وأنه صاحب **الدائرة الفضلية** التى تقع خارج دوائر الشرع كلها ، وأن كل من اتبعه يدخل الجنة بلا حساب وإن ارتكب المعاصى من زنا وفجور وقتل وسلب لأموال الناس فالله يقضى عن اتباعه كل ما ارتكبوه من خزائن فضله . وهذا سبب تسمية دائرته بالدائرة الفضلية .

قال: وإن الذين لا يؤمنون بطريقته ويعادونها كفار يخلدون فى النار .

ثم نقل عنه قوله من قصيدة له :

ومن يحبنى ومن يرانى ٠٠٠ فى جنة الخلد بلا بهتان

وقوله فى قصيدة أخرى يدعى فيها تصرفه فى الكون قال :

قد خصّنى بالعلم والتصريفى ٠٠٠ إن قلت كُنْ يَكُنُ بلا تسويفى

ثم ناقش محمد طاهر ميغرى هذه الكفريات مناقشة علمية وبين مصادمتها للنصوص الشرعية من الكتاب والسنة وأنها خروج على الشريعة الإسلامية ، وأن من يقولها ويعتقدها فهو الكافر الذى يستحق العقاب من الله ـ لاعموم المسلمين الذين يَكْفُرُوْنَ بتعاليمِ طريقته الخارجة عن الشريعة الإسلامية .

وقد عقد باباً فى أول أبواب الكتاب بعنوان « **إبراهيم انياس من شيخ الطريقة الى شيخ الإسلام** » .

فقد يظن المتعجل فى الحكم أنه يمدحه وهوفى الحقيقة يذمه . فقد أثبت فى هذا المبحث أن إبراهيم اينـاس يقول بالتقية ويعمل بها ، كما أثبت فى الأبواب الأخرى أن الصوفية هم باطنية إسماعيلية يقولون ويعتقدون عقائد الروافض .

قال : وباستعماله لعقيدة التقية فقد خدع الناس بمكره وخداعه ، وقد منح ذكاء وأسلوباً عجيباً فى خداع العالم حتى استطاع أن يكون عضواً فى رابطة العالم الإسلامى . قال : فهو يَظهَر للعالم الإسلامى بِمَظهر شيخ الإسلام ثم يعود الى قفصه فى كولخ يُعَلّم الناس ضلاله وفساد عقيدته ، إلى أن قال : فقد عاش طول حياته تيجانياً ومات تيجانياً ، وقد قال فى باريس وهوفى المستشفى ، على فراش الموت :

رأيت رسول الله جهراً ويقظة ... بباريسَ هل هذا المحل محله

ثم نقل إلى لندن فمات بها ونقل جثمانه إلى كولخ فدفن بها **وقد أوصى بالطريقة لخلفه من بعده** .

كما نقل فى أول الكتاب من كتاب السر الأكبر المحقق مع الدراسة والذى سبقت الإشارة اليه ما يأتى :

قال : إن كافراً فاسقاً اغتصب امرأة تيجانية فعاشرها طول حياته ، هذه المعاشرة الفاسدة ، فلما مات هذا الكافر دخل الجنة ، وذلك بسبب معاشرته لهذه المرأة التيجانية مع العلم أن المرأة غير ملتزمة بأداء الأوراد التيجانية ، ولكنها لم تتركها انكاراً لها وإنما تركتها كسلاً وتهاوناً[1] .

---

(١) انظر كتاب الشيخ إبراهيم انياس، حياته وأراؤه ص ١٩٤ ـ ١٩٧ .

ثم يناقش الشيخ محمد طاهر ميغرى هذا الكلام الفاسد ويحكم على معتقده بالكفر .

هذه نماذج قليلة ذكرتها مما تضمنه هذا الكتاب من المخازى التى أثبتها فيه الشيخ محمد طاهر ميغرى عن التيجانية وعقائدهم وكفرهم وعن إبراهيم ايناس نفسه المخصص بالدراسة ، وذلك لأن للشيخ محمد طاهر عليّ وعلى زملائى فى الدورة حق المسلم على المسلم وأخص بالذكر من المشايخ أكثر من غيره إمامنا فى الصلاة الذى لم تفته صفحة واحدة من قراءة كتبه . (ومنها ما قرىء من هذا الكتاب إبراهيم انياس ، والذى قال عنه بعضهم : إن مقدمته تكفى فى بيان أنه طعن للطريقة التيجانية ولأصحابها ـ وأقول إن الذى قاله هو الحق وقد سمعتم تكفيره للتيجانى ولابراهيم إنياس بما جاء عنهما من عقائد فاسدة .

منها أن الملك نزل على التيجانى بالوحى . وادعاء ابراهيم انياس أن أتباعه فى دائرة وراء دوائر الشرع ـ وأن الله تكفل له بادخال أتباعه الجنة بغير حساب ولو عملوا ما عملوا من المعاصى وأن الله يقضى عنهم من خزائن فضله ، وأنه يرى رسول الله باستمرار حتى فى باريس وأن الكافر الفاسق يدخل الجنة إذا عاشر امرأة تيجانية . . الخ) .

أقول إن من قرأ هذا الكتاب ليقف على رأى مؤلفه فى التيجانية وفى إبراهيم إيناس فقط ، فسيجد حكمه على التيجانى وابراهيم انياس بالكفر الصريح لا بالمدح ، وبحمد الله الكتاب موجود .

ولم أتحدث عن محمد طاهر ميغرى عن عاطفة ، وانما أتحدث عن حقائق وعن رجلٍ داعيةٍ يتبع مذهب السلف ويحارب الطرق الضالة المضلة ، فيجب أن يشد أزره ويشجع بطبع الصالح من كتبه .

وأعتقد بعد ما سمعتم والكتاب موجود ـ أنه لاينبغى أن يقال عنه إنه خبيث يدعو للتيجانية أو يمدح التيجانية ، فهذا حكم جائر ظالم ، وربما صدر هذا الكلام من صاحبه عن حسن نية وعدم قراءة للكتاب وإنما أكتفى ببعض الصفحات وكان الإنسان عجولاً ، وهذا الذى أعتقده ، لأن حق المسلم على المسلم أن لايَظْلِمَهُ ولا يخذله . . الخ ما جاء فى الحديث .

ولو كان مثلُ هذا القول صحيحاً لما كتب التيجانى الموريتاني تلك الرسالة رداً عليه بعنوان « انذار وافادة لمن باع دينه بشهادة » ولا شك أنه قد باع ما سماه هو ـ التيجانية دين جديد هدام لعقيدة الإسلام وشريعته بيعة لا رجعة فيها إن شاء الله .

وحيث أن القول فى محمد طاهر ميغرى وفى كتابه قد أصاب شخصاً آخر ، كما يقال : عصفورين بحجر ـ وهو فى الحقيقة ليس بعصفور وإنما هو صقر على رخم الطرق الصوفية ، ذلك الشخص هو : الشيخ أبوبكر قومي الرجل المعروف فى نيجيريا كلها بمحاربة أصحاب الطرق الصوفية ، وقد سمعتم عن جماعته وهم جماعة نصر الإسلام الذين لهم مراكز فى جميع ولايات نيجيريا ـ وهم الذين أدخلوا من يريد منهم مهادنة أصحاب الطرق بحجة جمع الكلمة ـ السّجْنَ عن طريق البوليس ، وهو عربى وليس بنيجيرى .

وذلك أن أبا بكر قومى وهو عضو فى المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية ، وعضو فى رابطة العالم الإسلامى ـ قد كتب مقدمة مقتضبة لهذا الكتاب . وقال عنه أى ابراهيم انياس أنه صاحب الفيضة ، استهزاء به لا مدحاً له وهو الذى دعانى لقراءة الكتاب كله من أوله إلى آخره ، وذلك لعلمى بمحاربة أبى بكر قومى لأصحاب الطرق حتى أن الحكومة عجزت عن المصالحة بينهما كما حدثنى بذلك الدكتور محمد ثانى زهر الدين رئيس قسم الدراسات الإسلامية بجامعة بايرو .

ولكن قلت فى نفسي : إن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ، فلعل الرجل حدث له شىء .

ولكن حينما قرأت الكتاب وجدته بالعكس فإن الرجل مازال على منهجه فقد جاء فى الكتاب نفسه ، فى الباب الذى جمع فيه محمد طاهر ميغرى المعلومات الميدانية عن إبراهيم انياس مقابلته لأبي بكر قومي فى منزله فى (كادونا) مثبتاً تأريخ اليوم الذى جرت فيه المقابلة وهو السبت ٢٧ / مايو ١٩٧٨ م بمقره فى كدونة حيث قال له :

ما رأيك فى ابراهيم انياس وطريقته فأجابه بقوله : إن إبراهيم انياس جاء الى نيجيريا بكفر صريح مكشوف ينادى به علنا وعلى رؤوس الأشهاد ، وأنه أضل عوام النيجيريين بِدَجَلِه ومكره .

قال ـ أى أبوبكر قومى ـ : وقد قابلته فى المدينة أيام أن كان عضواً فى الرابطة ، فأراد أن يتخذ من تلك المقابلة خدعة للناس بحجة أننا تصالحنا مع أصحاب الطرق ، فبينت للناس ذلك الكذب فى حينه لأننا عندما تقابلنا تبين لى أنه كافر فتبرأت منه وابتعدت عنه ، وأما اتحاد حركتى مع حركة تلاميذى والتعاون معهم فلا أرى أننى أحتاج إلى ذلك . لأن

حركتى هى جماعة نصر الاسلام ، وهي ليست لى وإنما هي لجميع المسلمين وكل من يريد أن ينصر الاسلام فالباب مفتوح لا يحجبه شيء[1] .

قال : ثم قلت له : ما رأيك فى قول الشيخ إبراهيم انياس : «إن الله قد ساق الوجود كله مساق الهلاك فى هذا الزمان فلا ينجو منه أحد إلا من رزقه الله محبة الشيخ التيجانى» . فقال : «إنه يريد بذلك أن يقول : ومن يبتغ غير التيجانية دينا فلن يقبل منه وهوفى الآخرة من الخاسرين» .

أما كتابته المقدمة للكتاب باختصار ولم يفصل القول فيها عن مخازى الطريقة التيجانية فقد سئل من شخصية تعمل بقوله تعالى : ﴿ **يا أيُّها الذينَ آمنوا إن جاءكم فاسق بِنبأ فتبينوا** ﴾ [الحجرات : ٦] .

فأجاب عن ذلك ، بأن المقصود منه أن يقرأ النيجيريون الكتاب وبالأخص أصحاب الطرق منهم حتى يعرفوا مخازى شيوخ طرقهم ، لأنهم اذا وجدوا منى التفصيل والنقد فى أول الكتاب قد ينصرفون عنه بحجة أن أبا بكر قومي عدو للتيجانية ولأصحاب الطرق جميعاً ، حدثنا بذلك هو بنفسه حين زرناه فى منزله (بكادونا) ، وكان يحدثنا عن أصحاب الطرق ، وقد جاء ذكر محمد طاهر ميغرى فى ذلك المجلس ، ومما يؤكد أن أبا بكر قومي لازال على منهجه فى محاربة الطرق الصوفية الضالة المضلة وأنه بعيد كل البعد من أن يقدم لكتاب يمدح التيجانية ـ إنه فى هذه الزيارة التى كانت فى شهر ذى القعدة ١٤٠٢ هـ للشيخ أبى بكر قومي فى منزله فقد كان حديثه معنا عن خرافات أصحاب الطرق ، حيث قال : إن من ضلالهم ودجلهم على عوام الناس بالكذب والتضليل ، أن ولياً من أوليائهم قال لأتباعه ، إنّ ولياً طار من بغداد الى نيجيريا ، فلما وصل نزل على رأس شجرة ، والأشجار كثيرة فى نيجيريا كما تعرفون ـ فذهب اليه الولى النيجيرى وقال له : لماذا لاتنزل ؟ فرد عليه قائلاً إن الأرض ملوثة بالمعاصى والذنوب فلا يمكن أن أنزل عليها . ولذلك ذكر له حاجته ثم طار راجعاً الى بغداد ـ ولا ندرى هل أرض بغداد ملوثة بالمعاصى أو لا ؟ .

قال ومثل هذا الكذب يصدقه العوام لأنه عندهم من كرامات الأولياء .

هذا وقد أخبرنى أمين الدين رئيس جماعة الدعوة ، أن لأصحاب الطرق رابطة فيما بينهم ولهم جماعة سمّوْهم باسم شباب الإسلام ـ فى مقابلة اسم جماعة أبى بكر قومي « نصر

---

(١) انظر كتاب الشيخ إبراهيم انياس السنغالى ، حياته وأراؤه وتعاليمه ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ الدار العربية تأليف محمد طاهر ميغرى . تقديم أبى بكر قومي .

الإسلام » وأن هؤلاء تمكنوا من اصدار برنامج فى الإذاعة يلقيه أحد رؤساء الطرق الصوفية (باللغة الهوسا) لمحاربة أبى بكر قومى والطعن عليه وعلى كتبه ـ فى الوقت الحاضر ـ وذلك معارضة منهم لحديث أبى بكر قومى الذى يلقيه فى الاذاعة من زمن لتوجيه الناس وارشادهم وتحذيرهم من الخرافات والبدع المهلكة .

أقول هذا عن الشيخ أبى بكر قومى رئيس قضاة شمال نيجيريا سابقاً وعضو المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية وعضو رابطة العالم الإسلامى ، وعن الشيخ محمد طاهر ميغرى البرناوى المحاضر بجامعة بايرو ـ لأنهما من رجال الدعوة إلى الحق ومن ألد أعداء أصحاب الطرق وعلى رأسها الطريقة التيجانية لأنهم يعرفون ضلالها وفسادها وتدميرها لأخلاق الشباب المسلم أكثر منا ، وهما على ثغرة فى الوقت الحاضر لايسدها غيرهما ، ومعهما أمين الدين أبو بكر رئيس جماعة الدعوة وهو الذى يقاوم فى الوقت الحاضر ضلال الرافضة ويبين للناس زيف دعوتهم للإسلام وأنهم يدعون للضلال إذ كيف يدعو للإسلام من يكفر الذين نقلوا لنا القرآن والسنة وعلى رأسهم أبو بكر وعمر رضى الله عنهما .

يعلن ذلك على منبر الجامع يوم الجمعة للناس جميعاً ، بلا تحفظ ولا خوف من أحد .

فالذى يجب علينا ونحن ندعو الى الحق أن نشد من أزر هؤلاء ونشجعهم ونساعدهم بما نستطيع تقديمه لهم ، ولو بالدعاء لهم ، وأن لاننـدفع مع ملابسات لا أصل لها ولا تمت إلى الحقيقة والواقع بشيء ونحن فى غنى عنها .

وإنى لأتمثل للشيخ أبى بكر قومى والشيخ محمد طاهر ميغرى بأبيات من منظومة قالها الشيخ حافظ الحكمى لملابسات تشبه هذه من بعض الجوانب هى بعنوان : الجوهرة الفريدة فى تحقيق العقيدة .

قال فيها :

انى براء من الأهواء ما ولدت ... وولديها الحيارى ساء ما ولدوا

والله لست بجهمي أخا جدل ... يقول فى الله قولاً غيرَ ما يرد

إلى أن قال :

وما أرسطو ولا الطومسي أئمتنا ... ولا ابن سبعين ذلك الكاذب الفند

ولا ابـن سيـنـاء وفـارآبـيـه قدوتـنـا ولا الـذى لنـصـوص الـشـر يستـنـد
مؤسس الـزيـغ والالحـاد حيـث يرى كل الخـلائـق بالـبـارى قد اتحـدوا
معـبـودُه كُلُّ شىء فى الـوجـود بدا الـكـلب والـقـرد والخـنـزيـر والأسـد
. . . الخ القصيدة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، ، ، ،

●●●●●●●●

مركز إسـلامى في السـويد

تم وضع حجر ألاساس لبناء أول مركز إسلامى في الدول الاسكندنافية بمدينة (مالمو) بجنوب السويد ·

ويحتوي المركز الإسلامى على مسجد وفصول دراسية لتعليم ابناء المسلمين الدين الاسلامى الحنيف إلى جانب مكتبة تحتوي على العديد من الكتب الإسلامية المختارة ·

وقد اعرب رئيس المركز الاسلامى في السويد ديفيد بيكروف عن سعادته البالغة لهذا الانجاز ودعا جميع الدول الاسلامية لدعم هذا المركز حتى يستطيع تأدية رسالته ··

(الندوة)

مِنْ مَنهَجِ ٱلْقُرآنِ ٱلعَظِيمِ
فِي ٱلتَّربِيَةِ وَٱلتَّعلِيمِ

لِلشَّيخ مُحَمَّد المَجْذُوب
كلية الدعوة وأصول الدين

قال الله تبارك وتعالى في سورة لقمان :

(ولقد آتينا لقمان الحكمة : أن اشكرْ لله .. ومن يشكرْ فانما يشكرُ لنفسه ، ومن كفر فان الله غنيٌ حميد (١٢) واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه : يابنيّ ... لا تشركْ بالله . إن الشركَ لظلم عظيم (١٣) ووصينا الإنسان بوالديه .. حملته امه وهناً على وهن وفصالُه في عامين : ان اشكر لي ولوالديك ، إليَّ المصير (١٤) وإن جاهداك على أن تشركَ بى ما ليس لك به علم فلا تطعْهما ، وصاحبْهما في الدنيا معروفا .. واتبع سبيل من أناب اليّ .. ثم إليَّ مرجعكم ، فأنبئكم بما كنتم تعملون (١٥) يابنيّ .. انها ان تكُ مثقال حبة من خردل فتكنْ في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله .. ان الله لطيف خبير (١٦) يابنيّ .. أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف ، وانهَ عن المنكر ، واصبرْ على ما أصابك ، ان ذلك من عزم الأمور (١٧) ولا تُصَعّرْ خدك للناس ، ولا تمش في الأرض مرحا ، ان الله لا يحب كل مختال فخور (١٨)واقصِدْ في مشيك ، واغضُض من صوتك ، إن أنكر الأصوات لصوت الحمير (١٩) .

المفردات : الوهن : الضعف ، والجنين ضعيف لا يدفع عن نفسه ضراً ولا يجلب لها نفعاً والرحم الحامل له ضعيف لا يستطيع حماية نفسه ، والأم الحامل في ضعف مستمر حتى تضعه ، الفصال : الفطام ، أناب الى الله : وثق به واتكل عليه وفوض أمره اليه ، صعرّ خده : أماله عن الناس استكبارا ، والمرح : الفخر والخيلاء ، القصد : الاعتدال بين الافراط والتفريط ، غض من صوته : خفضه تأدباً .

تلخيص المعانى : في هذه الآيات الكريمة تركيز عجيب لدستور كامل في أصول التربية والتعليم ، يذكر الله تبارك وتعالى معظمه عن لسان معلم صالح آتاه الحكمة فعمل بها ومن العسير استيفاء البحث في مضمون هذا الدستورالجامع المانع ،لذلك نكتفى بالاشارة الى أصوله الكبري .

الموضوع هنا يمكن اعتباره قسمين يؤلفان وحدة متكاملة ، أما أحدهما فخاص بالفرد من حيث هو كائن بشري لابد له من التوجيه الى المبادىء الأساسية التى تنظم كيانه الشخصى · وأما الثانى فيتناول تنظيم العلاقة بين هذا الفرد السوي ومجتمعه البشري ·

يبدأ القسم الأول من الوصية الحكيمة بالتحذير من الشرك ، لأن التوحيد هو المرتكز الأساسى الذي ينهض عليه البناء السليم للفرد والجماعه ، وليس الشرك الاّ عارضاً من الخارج ، والحكمة تقتضي تحصين الفطرة من ذلك الواغل الوبيل ، الذي لا ظلم أظلم منه للنفس وللحق ·

وكأن لقمان قد سكت عن ذكر الوصية بالوالدين لأنها تتعلق بحقه على ولده ، فآثر عليه حق الله وحق الآخرين ، ولأن التزامهما مؤد في الواقع الى توكيد شأن الوالدين باعتبارهما الأولى بكل برّ بعد الله ، ولكن الله جل شأنه لم يشأ أن يدع الأمر للاستنتاج ، فاستدرك على لقمان بتوكيد هذا الحق مباشرة بعد حقه ، كما عودنا سبحانه من الربط بين حقه وحق الوالدين في آيات أخر ، ثم قيد ذلك بحدود طاعته ، فللوالدين على الولد حق البر وخفض الجناح ، ولكن ليس لهما أن يفرضا عليه متابعتهما على المعصية ··

ولكى يصون الانسان نفسه من الانحراف عن هذا الخط لابد له من قدوة عملية يلتزم سبيلها في سلوكه ، وقد حدد له هذه القدوة في اتباع المنيبين اليه من الأنبياء والأصفياءالسالكين على خطاهم · والبرّ بالوالدين ، ومتابعة الصالحين ، مع التوحيد الخالص ، أساس التربية القويمةالتى تضبط مسيرة الفرد في الطريق الأمثل ، يضاف الى ذلك تذكرهُ الدائم للمصير الذي هو منته اليه بعد هذه الحياة الزائلة ، حيث يرى ما عمله من خير محضراً ، وما عمله من سوء يود لو أن بينه وبينه أمداً بعيدا · وأولى ثمار هذه التربية تكوين المراقبة الداخلية لأعمال الفرد ، وهو ما نسميه بالضمير ، اذ يتجنب كل زيغ عن الجادة ، لأن كل حركاته وسكناته مُحصى عليه من قبل اللطيف الخبير ، الذي لا يفوته كبير ولا صغير ·

وهنا يأتى القسم الثانى وفيه تتلاحق الأوامر والنواهي : أمراً بالصلاة التى هى معراج المؤمن الى الملأ الأعلى وكأنها مواقف حساب يومى ، يعرض فيها نفسه وعمله على ربه فيستغفره لما أصاب من الهفوات ، ويستمده العون على ما وفق اليه من الحسنات · ثم أمر بالمعروف ، ونهي عن المنكر ، وصبر على المصائب ·· كل أولئك نتائج طبيعية لتلك المقدمات ، لأن الانسان الذي زود بكل هاتيك الفضائل بات مؤهلاً للاسهام في توجيه المجتمع بالدعوة الى كل خير ، والتحذير من كل شرّ ولا يطيق ذلك الاّ بالصبر الذي يحبب اليه الثبات واجتياز العقبات · والصبر في حقيقته قوة لا تتاح الاّ لأولى العزم ، فليكن اذا واحداً من أتباعهم وليتحمل ف سبيل الله ما تحمله الأولون من أتباع النبيين ، وما يتحمله حتى اليوم أتباعهم

باحسان في سجون الملاحدة والظالمين .. وانما تستمر سلامة المجتمع واستقراره في طريق الخير بهؤلاء الآمرين بالمعروف ، الناهين عن المنكر ، الذين ما خلت منهم أمة الا تودّع منها .

ومن ثم تتابع الآداب الاجتماعية ممثلة في نهيين وأمرين . أما الأولان فالتحذير من الاستكبار والمرح ، وأما الآخران فالحض على الاعتدال في المشي ، والغض من الصوت عند مخاطبة الناس . ويعقب كلاً من القسمين تذييل مؤكد لمضمونه بصورة تقنع العقل السليم بالتزام المطلوب (ان الله لا يحب كل مختال فخور) و (ان أنكر الأصوات لصوت الحمير) وحسب المؤمن أن يعلم كره الله للاختيال والتطاول حتى يهجر لوازمهما من الصعر والمرح ، اللذين يسجلان على صاحبهما فراغ النفس من الفضائل ، وخلو القلب من التفكير بالتبعات الثقال ، التى لا يستطيع تجاهلها من كان يؤمن بأنه مسؤول عن حركاته وسكناته جميعاً ! وبحسبه كذلك أن يتصور نهيق الحمار ومزعجاته حتى تشمئز نفسه من مشابهته . فيحاول جهده أن يلتزم أدب الاسلام في المشي وفي الكلام .

أهمية هذه المعانى وأثرها في تكوين المجتمع الصالح : بقليل من التدبر الواعي لهذه الوصايا نتبين اننا تلقاء مخطط عميق الغور ، لا أمل بانشاء الفرد الصالح خارج نطاقه فهو أشبه بالأعداد الأساسية في علم الحساب ، فكما أن عملية حسابية دقت أو جلت تقوم على الأرقام الواحد والتاسع وما بينهما ، فكذلك تنبثق من جذور هذا المخطط جميع التفريعات ، التى تحدد مضمون المناهج وأهدافها في كل نظام للتربية والتعليم كما يريده الاسلام ، وكما تتطلبه مصلحة الجنس الانساني .

واذا كان لكل منهاج نماذجه التى تمثل مضمونه في صور مشهودة ، فالنماذج التى يقدمها هذا المنهج تؤكد أنه الوحيد ، بين مناهج الدنيا ، الذي أعطى العالم أعظم رجال التاريخ اطلاقا فأثبت بذلك أنه النظام الوحيد الذي يضمن انشاء الانسان الممتاز الذي يحلم به الفلاسفة دون أن يعرفوا الطريق اليه ... ومن يكون ذلك الانسان الممتاز غير الذي رباه الاسلام في مدرسة النبوة على ضوء هذا المنهج الرباني فكان أتقى الناس وأعدل الناس ، وأشجع الناس ، وأكرم الناس ، وأعف الناس ، وأشد الناس حين الشدّة ، وألينهم عند اللين .. أبعد الخلق عن جهل ، وأرغبهم في علم ، حتى كان منهم أئمة البشر في علوم الدين والدنيا جميعا !

فمن المخطط يتضح لنا أن غاية التربية والتعليم ، في مستواهما الأعلى ووفق الطريقة الاسلامية ، انما هي رعاية النفس الانسانية بتدريبها على تحقيق المنهاج الرباني ، في تربية الروح ضمن تعاليم الوحي التى تحرر النفس من كل خوف لغير الله ، وكل عبودية لسواه ، وتجعلها مدركة لرسالتها في الحياة التى هي تكوين المجتمع الأفضل القائم على عبادة الله وابتغاء مرضاته ، ثم تربية العقل تربية صحيحة تمكنه من تحقيق مهمته في استجلاء مظاهر

عظمة الله في ملكوته . وتسهيل سبل الافادة مما سخر له الله في السماء والأرض من وسائل المتاع والانتفاع . دون ظلم ولا جحود ولا طغيان .. وهو هو السر الذي أدركه سلفنا الصالح لمفهوم التربية والتعليم على هدى من هذا المنهج الأمثل . فراحوا يؤكدون على وجوب العناية بالروح . حتى اعتبروها قوام الانسان كله كما يقول أحدهم : (فأنت بالروح لا بالجسم انسان) واعتبروا صلاحها صلاحا للكيان البشري كله كما يتضح من قول أحدهم :

هذّبِ النفس بالعلوم لترقى ... وترى الكل فهي للكل بيتْ
انما النفس كالزجاجة والعقـ ... ـل سراج وحكمة الله زيت
فاذا أشرقت فانك حي ... واذا أظلمت فانك ميْت

ولا يعنى هذا التركيز على الجانب الروحي من الانسان إغفال جانبه المادي . لأن الاسلام هو النظام الوحيد الذي يقوم على التوازن المتكامل بين الروح والجسد . وانما جاء توكيد العناية بالروح لأن من طبيعة الانسان الاستجابة لنوازعه المادية الى حد الإفراط . فكان من الحكمة إثارة اهتمامه بالجانب الآخر لتحقيق التوازن بين الحالين ..

وطبيعي أن أدب الجاهلية لم يقترب من هذه المعاني قط . فهي جديدة على العقل العربي . وهي بالتالى جديدة على العقل البشري في كل مكان قبل نزول القرآن العظيم ... ولا تزال جديدة عند أهل العلم . الذين يتولون تخطيط أسس التربية في أنحاء العالم المتمدين في الشرق والغرب على السواء .. وانما تستمد قيمتها من عمق الادراك لخصائص الفطرة البشرية التي لا صلاح لها الا بهذه الحقائق . وقد ثبت ذلك بشهادة الله الذي أودعها كتابه الحكيم توكيداً لأهميتها في هذا المضمار . وتقديراً لهذا النوع من الحكمة التى استحقت تكرمته وتخليده سبحانه .

الأسلوب المعجز في الآيات : عندما عجز علماء البلاغة عن الاحاطة بأسرار الاعجاز في كلام الله اضطروا الى القول بأنه كلام لا كالكلام . فاذا كان كلام البشر يدور بين الشعر والنثر فالقرآن ليس من الشعر . وان كان فيه الكثير من خصائصه في أكمل حالاتها كعذوبة الجرس . ورشاقة العبارة . والتصوير المجسم لأدق المعاني .. وليس من النثر . وان شاركه في أخص عناصره . كالإنطلاق . وتحديد المدلول . والتوافق بين الفكر واللفظ .. وسلوك الأساليب المختلفة من السجع إلى الارسال . إلى تقصير الفقرات أو تطويلها حسب المناسبة . وكاستخدام المثل والقصة والتمثيل وما الى ذلك من فنون القول ... واذن فهو قسم خاص من الكلام قائم بذاته وبخصائصه التى يسمو بها على كل ضروب الأدب . ومن هنا جاء قولهم : الكلام ثلاثة

أقسام نثر وشعر وقرآن . وأقرب تعبير عن هذا السر المعجز هو القول بأن طراز البلاغة في كل كلام إنما يمثل عبقرية منشئها وخصائصه الفكرية والنفسية والثقافية . وانما يتفاوت البلغاء في نطاق هذه الخصائص قوة وضعفاً . وانخفاضاً وارتفاعاً . لأنهم بصياغتهم الفنية انما يمثلون صفاتهم المنبثقة من هذه الخصائص . ونحن عندما نميز بين أسلوب انسان وأسلوب آخر انما نميز في الحقيقة بين صفة هذا وصفة ذاك . تماماً كما قرر نقاد الغرب عندما زعموا : أن الأسلوب هو الانسان . يريدون أنه صفته المميزة له . وعلى هذا المقياس نستطيع القول إن امتياز كلام الرب تبارك وتعالى انما جاء من كونه صفته المعبرة عن علمه وكمالاته اللائقة بجلاله . فلا سبيل إلى المقارنة بين كلامه وكلام مخلوق مهما تبلغ بلاغته من الارتفاع . لأنه لا سبيل الى المقارنة بين علم الرب المحيط بكل شيء . وعلم العبد الذي لا يري من الشيء الا الجزء الذي يواجهه .. ومن طبيعة هذا الفرق أن الانسان يتراوح بين السموِ والهبوط وفق قدرته المحدودة في تتبع الوقائع . واستنباط الأسرار . فيصيب ويخطىء . ويتعمق الشيء آناً فيقول ما يتفق مع حقيقته . ويغم عليه السر آناً فيتخبط في أحكامه . وبذلك يتعرض للاحسان والاساءة على حين يأتي كلام الخالق صورة الحق الخالص الثابت على مرّ الأحوال وتغير الأزمان . لكل حرف فيه مدلوله اليقيني الذي لا يقبل التبديل . كمثل العضو من الجسم الحيّ له مكانه ووظيفته . التى لا سبيل لتحقيقها الا عن طريق ذلك الوضع المخصوص ..

واذن فالاعجاز في الكلام الالهي قائم في المعنى والمبنى معا .. فمعاني الآيات كما رأيت تمثل أسمى ما يتصوره العقل البشري من كمال التنظيم التربوي . الذي عجز عن مثله مفكرو القديم والحديث . لأنه حقائق منسجمة مع الفطرة التى لا تبديل لها على الأحداث والبيئات .

والاعجاز متمثل كذلك في نظم الآيات من حيث الألفاظ والتعابير . وتساوق الفقرات في فواصلها ونهاياتها .. فتقسيم الكلام الى آيات يوجه القاريء الى التوقف على أواخرها . ويساعده على التغني بها وهى بعض مميزات التنزيل التى لا تجد مثلها في كلام الجاهليين ولا الإسلاميين . حتى في أسلوب المقامات القائمة على تقسيم الكلام إلى فقرات مسجوعة كقوافي الشعر . تشعر عند مقارنتها بآيات القرآن العظيم أنها تكاد تفقد كل أثر للجمال . اذ تبدو سجعاتها متكلفة قد سخرت لها المعاني . واجتلبت لها الألفاظ بدافع الرغبة في الهندسة اللفظية فقط .. وهذا ما جعل بعض علماء البلاغة ينكرون وجود السجع في كلام الله . لأنهم لم يروا السجع قط الا متكلفا . بخلاف نهايات الآيات القرآنية التى لا تأتى أبداً الا عفوية على أتم التساوق والانسجام مع المعنى . ولهذا رأوا أن تسمية هذه النهايات بالفواصل أحكم وأليق من تسميتها بالسجع .

والقارىء ذو الشعور المرهف يدرك بذوقه في هذه الفواصل التى تختتم بها الاي من الجمال والتأثير ما لا سبيل الى تحديده بالوصف الكلامي ..وسيكون أكثر ادراكا لأثرها اذا هو ترك قراءة تلك الخواتيم واكتفى بقراءة صدورها وحدها . اذ يحس أنه يفتقد بذلك غير قليل من النغم . والجمال والتأثير .

شخصية لقمان : ولقد اعتدنا أن نقرأ الوصايا في الجاهلية فقرا متقطعة لا نظام لها في الغالب . حتى يمكن تغيير مواقعها دون أن يؤثر ذلك على مجموعها . لأن قائلها في الأصل لم يُعن فيها بوحدة الموضوع .. أما هنا في وصية لقمان فالأمر على الضد . اذ نرى التماسك بين الفقرات على أتمه . فكل فقرة ممسكة بأختها . لأن كل فكرة ممهدة لما يليها . ومنها جميعا على هذا التماسك يتألف دستور التربية المتكامل .

لقد بدأت الآيات بخبر الحكمة التى هيأ الله لها لقمان . ثم تتابعت المعانى التى تنطوي تحتها . وأولها الشكر لله . ولم تذكر الايمان به سبحانه . لأن المناسبة تقتضي أن الايمان أصل في الفطرة الانسانية لا جدال فيه وانما البحث في متطلباته ومُغذّياته . ولاشك أن شكر المنعم في مقدمتها لأن الحس البشري لا يقع على شيء الا وهو من فضله تعالى . فشكر المتفضل إنما هو تعهد للنفس بالاصلاح المستمر والضبط الواعي ضمن حدود الخير .. فاذا ما تمت للقمان هذه الخاصة العليا . خاصة التنبه الدائم لنعم الله وشكرها . كان أهلا لدعوة الآخرين الى هذا الخير . وأحق الناس به منه ولده . وأفضل ما يبدأ به تزويده التحذير من الانحراف بفطرة الايمان عن طريقها السديد . لأن الشرك ظلم عظيم .. وهكذا تتابع أجزاء الموعظة في ترابط عجيب لا يغفل شاردة ولا واردة . من الوصية بالوالدين . إلى القدوة الحسنة إلى مراقبة النفس والعمل . الى الجهاد العام للحفاظ على صلاح المجتمع . إلى حسن معاملة الناس وما يصلح للمؤمن العاقل من أدب المعاملة لمن يدعوهم إلى الصلاح ...

هذا من حيث وحدة الموضوع .. فاذا رحنا نتبين الخصائص النفسية لهذا الحكيم الصالح واجهتنا الحكمة ممثلة في طريقته نفسها . فهو يسوق مواعظه في أرق الأساليب وأبلغها وقعا . فيبدأ كل زمرة من تلك الفضائل بذلك الخطاب المؤثر المشحون بالاشفاق : (يابني) .. ثم لا يكتفي بصيغة الأمر والنهي في عرضها . بل يعمد الى دعمها بالتعليل المقنع فهو ينهاه عن الشرك لأنه ظلم عظيم . ويحذره من التهاون بصغائر الذنوب لأن الله لطيف خبير . وهو يحضه على الاستمساك بالصبر لأن تكاليف الايمان والدعوة من الأعباء التى تتطلب العزائم الضخمة . وهو ينفره من التصعير والمرح لأن الله لا يحب أهلهما . وينصح له بالأناة والرصانة لأن الخروج منهما دخول في صفة الحيوان الذي لا يعرف الآداب ... ولكي ندرك روعة

التنسيق في أسلوب هذه الآيات نأخذ الآية السابعة عشرة كمثل من ذلك · انه يدعو ولده الى أربعة أشياء : الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر · وكان ممكنا أن يبدأ بأي منها . ولكنه آثر البدء بالصلاة وقيدها بالاقامة لتكون أدل على كمالها . ومن ثم لتؤدي وظيفتها كاملة في رفع طاقاته النفسية . فاذا تم له ذلك حُبِّب اليه الأمر بالمعروف . وقدم ذلك على النهي عن المنكر . لأن دعوة الناس الى مهجور الخير أوقع في قلوبهم من دعوتهم للاقلاع عن مألوف المنكر ·· فاذا مرن على ذلك سهل عليه الانتقال الى ما بعده . ولكن هذه أعباء ثقال لا يطيقها الا أولو العزم من الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ··· فلتكن الوصية بالصبر أخيرا . ثم ليأت بيان أهمية ذلك تذييلا شاملا لهذه الأحكام جميعا (ان ذلك من عزم الأمور) ·

وهكذا نخلص من هذه الدراسة الوجيزة لوصايا لقمان . وقد تبينا ملامح من أهميتها وحاجة الانسان الى تحقيقها في كل زمان ومكان . واستبنا من خلالها شخصية ذلك الحكيم العظيم الذي تعلمنا منه الكثير من أصول الدعوة وطريقة عرض الحقائق بالأسلوب المبشر الذي لا ينفر ·· وأخيرا تعرفنا أثناء ذلك بعض الخصائص التى ميز بها الخلاق العظيم أسلوب كتابه الحكيم . فكان بها المعجز الذي لا يبارى . والمعلم الذي لا يجارى . والنور الخالد الذي يهدي للتى هي أقوم ·